٥١ ـ قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [٩] أول السورة، وفى آخرها: ﴿إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [١٩٤] فعدل من (الخطاب) إلى لفظ (الغيبة) فى أول السورة، واستمر على الخطاب فى آخرها؛ لأن ما فى أول السورة لا يتصل بالكلام الأول كاتصال ما فى آخرها، فإن اتصال قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [٩] بقوله: ﴿إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ﴾ [٩] معنوى، واتصال قوله: ﴿إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [١٩٤] بقوله: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا﴾ [١٩٤] لفظى ومعنوى جميعًا، لتقدم لفظ الوعد.

٥٢ ـ قوله: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ [١١][(١)] ، كان القياس: (فأخذناهم)، لكن لما عدل فى الآية الأولى إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [٩] عدل فى هذه الآية أيضًا، لتكون الآيات على منهج واحد.

٥٣ ـ قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ [١٨]، ثم كرر فى هذه الآية فقال: ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾؛ لأن الأول جرى مجرى الشهادة، وأعاده ليجرى الثانى مجرى الحكم بصحة ما شهد به الشهود.

٥٤ ـ قوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [٢٨] كرر مرتين[(٢)]؛ لأنه وعيد عطف عليه وعيد آخر فى الآية الأولى؛ فإن ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [٢٨] معناه: مصيركم إلى الله، والعذاب معد لديه، فاستدرك فى الآية الثانية بوعد، وهو قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [٣٠]، والرأفة أشد من الرحمة، وقيل: من رأفته تحذيره[(٣)].

---

(١) راجع فتح الرحمن (ص ٦١) مسألة (٥)، وفتاوى الإمام النووى (ص ١٩٧) مسألة (٦٨).

(٢) المرة الثانية فى قوله تعالى : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [٣٠].

(٣) راجع قول الشيخ زكريا الأنصارى فى فتح الرحمن (ص ٦٤) مسألة رقم (١٥)، والنووى (ص ١٩٩ وص ٢٠٠) مسألة رقم (٧٣).

٥٥ ـ قوله: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ [٤٠]، قدم فى هذه السورة ذكر (الكبر)، وأخر ذكر (المرأة)، وقال فى سورة مريم: ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [٨] فقدم ذكر (المرأة)؛ لأن فى «مريم» قد تقدم ذكر (الكبر) فى قوله: ﴿وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ [٤]، وتأخر ذكر (المرأة) فى قوله: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ [٥]، ثم أعاد ذكرها، فأخر ذكر (الكبر)، ليوافق (عتيًا) ما بعده من الآيات وهى: (سويا) [١٠] ـ و(عشيّا) [١١] ـ و(صبيًا) [١٢].

٥٦ ـ قوله: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ [٤٧] وفى مريم: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾[(١)] [٢٠]؛ لأن فى هذه السورة تقدم ذكر المسيح، وهو ولدها، وفى «مريم» تقدم ذكر الغلام؛ حيث قال: ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩].

٥٧ ـ قوله: ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ [٤٩]، وفى «المائدة»: ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ [١١٠] قيل: الضمير فى هذه السورة يعود إلى الطير، وقيل: إلى الطين، وقيل إلى المهيأ[(٢)]، وقيل: إلى (الكاف) فإنه فى معنى: مثل.

وفى «المائدة» يعود إلى (الهيئة)، وهذا جواب التذكير والتأنيث، لا جواب التخصيص، وإنما الكلام وقع فى التخصيص، وهل يجوز أن يكون كل واحد منهما مكان الآخر أم لا؟ فالجواب[(٣)] أن يقال: ما فى هذه السورة إخبار قبل الفعل فوحده، وفى «المائدة»: خطاب من الله له يوم القيامة وقد تقدم من عيسى ـ عليه السلام ـ الفعل مرات، و(الطير) صالح للواحد، وصالح للجميع.

٥٨ ـ قوله: فى «المائدة»: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [٤٩] ذكر فى هذه الآية مرتين، وقال: فى المائدة: ﴿بإذنى﴾ أربع مرات[(٤)]؛ لأن ما فى هذه السورة كلام

---

(١) فتح الرحمن (ص ٦٤) مسألة (١٥)، وفتاوى الإمام النووى (ص ٢٠٠) مسألة (٧٤).

(٢) فى الأصول (المهيئ) وهو خطأ تحريف من النساخ.

(٣) فتح الرحمن (ص ٦٧) مسألة (٢٣).

(٤) فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾ [١١٠].

عيسى ـ عليه السلام ـ فما يتصور أن يكون من فعل البشر أضافه إلى نفسه، وهو (الخلق) الذى معناه التقدير، و(النفخ) الذى[1] هو: إخراج الريح من الفم. وما يتصور إضافته إلى الله تعالى أضافة إليه، وهو قوله: ﴿**فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ**﴾ بما يكون فى طوق البشر؛ فإن الأكمه[2] عند بعض المفسرين: الأعمش، وعند بعضهم الأعشى، وعند بعضهم: الذى يولد أعمى ، وإحياء الموتى من فعل الله؛ فأضافه إليه.

وما فى «المائدة» من كلام الله سبحانه وتعالى؛ فأضاف جميع ذلك إلى صنعه إظهاراً لعجز البشر؛ ولأن فعل العبد مخلوق لله تعالى[3].

وقيل: (بإذن الله)[4] يعود إلى الأفعال الثلاثة[5]، وكذلك يعود الثانى إلى الثلاثة الأخرى[6].

٥٩ ـ قوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ**﴾ [٥١] وكذلك فى «مريم»: ﴿**رَبِّي وَرَبُّكُمْ**﴾ [٣٦]، وفى «الزخرف» فى هذه القصة: ﴿**إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ**﴾ [٦٤] بزيادة (هو)[7].

قال الشيخ: إذا قلت: زيد هو قائم، فيحتمل أن يكون تقديره: وعمرو قائم، فإن قلت: زيد هو القائم، خصصت القيام به؛ فهو كذلك فى الآية، وهذا مثاله؛ لأن (هو) يذكر فى مثل هذا الموضع إعلاماً[8] أن المبتدأ مقصور على الخبر، وهذا الخبر مقصور عليه دون غيره.

---

(١) سقطت من بعض النسخ.
(٢) الكمه والبرص ـ فى بعض النسخ.
(٣) فى الكتاب الكريم: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [الصافات: ٩٦].
(٤) ﴿**بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ هذا اللفظ الكريم ورد مرتين فى الآية، والمؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يتناولها الأول ثم الثانى.
(٥) وهى: فى «آل عمران»: (أخلق ـ أنفخ ـ فيكون طيراً...).
(٦) وهى: (أبرئ ـ أنبئكم ـ أحيى).
(٧) الفتح (ص ٦٧ ، ٦٨) مسألة (٢٥)، والنووى (ص ٢٠٠) مسألة (٧٥).
(٨) أى إعلامًا بأن المبتدأ ... إلخ.

والذى (وقع) فى «آل عمران» بعد تسع آيات من قصتها[1]، وليس كذلك ما فى «الزخرف»؛ فإنه ابتداء كلام منه[2]، فحسن التأكيد بقوله: (هو)؛ ليصير المبتدأ مقصوراً على الخبر المذكور فى الآية، وهو إثبات الربوبية ونفى الأبوة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

٦٠ ـ قوله: ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [٥٢] فى هذه السورة، وفى «المائدة»: ﴿بأننا﴾ [١١١]؛ لأن ما فى «المائدة» أول كلام الحواريين؛ فجاء على الأصل، وما فى السورة تكرار لكلامهم؛ فجاز فيه التخفيف؛ لأن التخفيف فرع، والتكرار فرع، والفرع بالفرع أولى[3].

٦١ ـ قوله: ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُن﴾ [٦٠] فى هذه السورة، وفى «البقرة» ﴿فلا تكونن﴾ [١٤٧]، لأن ما فى السورة جاء على الأصل، ولم يكن فيها ما أوجب إدخال نون التوكيد فى الكلمة، بخلاف سورة «البقرة»؛ فإن فيها فى أول القصة: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ [١٤٤] بنون التوكيد[4]، فأوجب (الازدواج) إدخال النون فى الكلمة، فيصير التقدير: فلنولينك قبلة ترضاها ﴿فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾، والخطاب فى الآيتين للنبى ﷺ، والمراد به غيره[5].

٦٢ ـ قوله: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ﴾ [٧٣] فى هذه السورة، وفى «البقرة»: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ [١٢٠]؛ لأن الهدى فى هذه السورة[6] هو الدين، وقد تقدم فى قوله: ﴿لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [٧٣]، وهدى الله: الإسلام، فكأنه قال بعد قولهم: ﴿وَلا تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ قل: إن الدين عند الله الإسلام، كما سبق فى أول السورة.

---

(١) ابتدأ من قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ «٤٢».

(٢) أى من عيسى ـ عليه السلام ـ أنظر الآية.

(٣) راجع أيضًا الفتح (ص ٦٨) مسألة رقم (٢٦)، والفتاوى للنووى (ص ٢٠١) مسألة (٧٦).

(٤) راجع فتح الرحمن.

(٥) فإن رسول الله ليس ممتريًا ـ حاشاه ذلك ـ ولكن هذا الخطاب إليه ﷺ تعليمًا لأمته.

(٦) أى سورة «آل عمران».

والذى فى «البقرة» معناه: (القبلة)؛ لأن الآية نزلت[1] فى تحويل القبلة وتقديره: قل إن قبلة الله هى الكعبة.

٦٣ ـ قوله: ﴿مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [٩٩] ليس هاهنا (به) ولا (واو العطف)، وفى سورة «الأعراف» ﴿مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا﴾ «٨٦» بزيادة (به)، و(واو العطف)؛ لأن القياس: آمن به كما فى «الأعراف»، لكنها حذفت فى هذه السورة، موافقة لقوله: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾[2]، فإن القياس فيه أيضًا: كفر به، وقوله: ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ هاهنا حال، و(الواو) لاتزاد مع الفعل إذا وقع حالاً، نحو قوله: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦]، و﴿دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ﴾ [سبأ: ١٤]، وغير ذلك، وفى الأعراف عطف على الحال، والحال قوله: (توعدون)، و(تصدون) عطف عليه، وكذلك ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾[3].

٦٤ ـ قوله: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [١٢٦] هاهنا بإثبات ﴿لكم﴾، وتأخير ﴿به﴾، وحذف ﴿إن الله﴾، وفى [الأنفال: ١٠] بحذف ﴿لكم﴾، وتقديم ﴿به﴾، وإثبات ﴿إن الله﴾[4]؛ لأن البشرى هنا للمخاطبين ﴿من المؤمنين﴾[5]، فبين وقال: ﴿لكم﴾، وفى «الأنفال» قد تقدم ﴿لكم﴾ فى قوله: ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [٩] فاكتفى بذلك.

وقدم ﴿قلوبكم﴾ هنا، وأخر ﴿به﴾؛ ازدواجًا بين المخاطبين، فقال: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ﴾ [١٢٦] وحذف (إن الله) هاهنا؛ لأن ما فى «الأنفال» قصة بدر، وهى سابقة على مافى هذه السورة؛ فإنها فى قصة أحد، وأخبر هناك بـ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، وجعله فى هذه السورة صفة؛ لأن الخبر قد سبق.

---

(١) راجع أسباب النزول للسيوطى.

(٢) فى الآية [٩٧] من «آل عمران».

(٣) فتح الرحمن (ص ٧٠) مسألة رقم (٣٣) بتصرف، وفتاوى النووى (ص ٢٠٢) مسألة (٧٩).

(٤) فتح الرحمن (ص ٧١، ٧٢) مسألة (٣٨)، والنووى (ص ٢٠٢، ٢٠٣) مسألة رقم (٨٠).

(٥) مابين القوسين زيادة من عندنا، وليست بالأصول.

٦٥ ـ قوله: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [١٣٦] بزيادة الواو[١]؛ لأن الاتصال بما قبلها أكثر من غيرها وتقديره: ونعم أجر العاملين المغفرة والجنات والخلود[٢].

٦٦ ـ قوله: ﴿رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾[١٦٤] بزيادة الأنفس، وفى غيرها ﴿رَسُولاً مِّنكُمْ﴾ [البقرة:١٥١]؛ لأنه ـ سبحانه ـ منَّ على المؤمنين به فجعله من أنفسهم؛ ليكون واجب المنة أظهر، وكذلك قوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة:١٢٨] لما وصفه بقوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ جعله من أنفسهم؛ ليكون موجب الإجابة والإيمان أظهر وأبين.

٦٧ ـ قوله: ﴿جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [١٨٤] هاهنا بـ (باء واحدة) إلا فى قراءة ابن عامر[٣]، وفى «فاطر»: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ و﴿وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ﴾[٢٥] بثلاث (باءات)؛ لأنه فى هذه السورة وقع فى كلام مبنى على الاختصار، وهو إقامة لفظ الماضى فى الشرط مقام لفظ المستقبل، ولفظ الماضى أخف، وبنى الفعل للمجهول؛ فلا يحتاج إلى ذكر الفاعل، وهو قوله: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [١٨٤]، كذلك حذفت (الباءات)؛ ليوافق الأول فى الاختصار، بخلاف ما فى «فاطر»؛ فإن الشرط فيه بلفظ المستقبل، والفاعل مذكور مع الفعل، وهو قوله: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [٢٥]، ثم ذكر بعدها (الباءات)؛ ليكون كله على نسق واحد[٤].

٦٨ ـ قوله: ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [١٩٧] هاهنا، وفى غيرها: ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [التوبة:٧٣، ٩٥] و [الرعد:١٨] و [التحريم:٩]؛ لأن ماقبلها فى هذه السورة: ﴿لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ [١٩٦، ١٩٧]، أى ذلك متاع فى الدنيا قليل، والقليل يدل على تراخ، وإن صغر وقل، و(ثم): للتراخى فكان طبقًا له، والله تعالى أعلم[٥].

---

(١) ورد هذا القول الكريم فى الكتاب العزيز ثلاث مرات، فهو مقرون بـ (الواو) فى «آل عمران»، وبـ (الفاء) فى «الزمر» ومجرد منهما فى «العنكبوت». ورقم الآية فى العنكبوت (٥٨)، وفى الزمر (٧٤).

(٢) فتح الرحمن (ص ٧٣) مسألة رقم (٤٢)، وفتاوى النووى (ص ٢٠٣) مسألة رقم (٨٢).

(٣) راجع القرطبى (٤/ ٢٩٦).

(٤) فتح الرحمن (ص ٧٥) مسألة رقم (٤٩)، والنووى (ص ٢٠٤) مسألة رقم (٨٣).

(٥) النووى (ص ٢٠٤) مسألة رقم (٨٥).